بين السيرة والمذكرات
غازي القصيبي يحكي عن الذات

د٠ أسماء بنت عبد العزيز الجنوبي (*)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فما زالت الفروق الدقيقة بين الأجناس الأدبية محل نزاع من الناحية التصنيفية التنظيرية؛ لأن سنة تناسل الأجناس والأنواع، وتداخلها من السنن الضارية في نظرية الأدب، وأن مسألة صفوية الأجناس محالة في نظرية الأدب الحديثة.

ولم يكن أدب كتابة الذات بمعزل عن ذلك كله، فأدب كتابة الذات بعامة، والسيرة الذاتية بخاصة، عرف التنظير في زمن متأخر من العصر الحديث، وما زال المنظرون له يضعون له القيود والضوابط ثم يتراجعون قليلا للتأمل والتفكر، وخير مثال على ذلك فيليب لوجون الذي تراجع عن الميثاق السيرذاتي الذي وضعه، وإن كان هذا التراجع لم يسفر عن جديد (من وجهة نظري).

وأكثر ما دفعني إلى هذا البحث ذلك الخلط التطبيقي عند كثير من الكتّاب والنقاد، مع وجود الحدود التنظيرية الواضحة، والمتداولة في الكتب. إن ذلك الخلط يحصل بين أنواع كتابة الذات عندما يضع كتاب هذا الجنس الأدبي عقد القراءة على عمل لا تنطبق عليه الشروط؛ فيسمون الرواية باسم المذكرات، ويطلقون على أدب رسم الذات مسمى اليوميات، وهكذا. بل إن بعض النقاد ينسبون للسير اسم المذكرات، وللمذكرات أسماء أخرى، وقد يصل الخلط إلى عدم الاعتراف بتلك الأنواع التفصيلية بالجملة؛ إذ لا يرى بعضهم وجودا لغير السير الذاتية أو

(*) الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية (قسم الأدب) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الغيرية، وأجد ذلك عائدا إلى السبب الذي قلته من قبل حول عدم شيوع جنس كتابة الذات في العالم العربي إلا متأخرا، فكيف بالتنظير النقدي لها أو التطبيق؟

لقد التفت كثير من النقاد والدارسين إلى الخلط النوعي بين أنواع كتابة الذات بعامة، ووقف بعض النقاد عند ذلك الخلط النوعي في المملكة العربية السعودية، حتى إن د. فهد البكر عد ذلك الخلط أزمة أجناسية، وإشكالية حقيقية حيث قال: "لكن الإشكالية الحقيقية اليوم لم تعد في تحديد كتاب السيرة لما يكتبون، أو خلطهم السيرة بغيرها من الأجناس والأشكال الأدبية، بل امتد الأمر إلى بعض النقاد الذين أشكل عليهم تصاقب بعض الأجناس الأدبية مع السيرة الذاتية، وبدا ذلك ملحوظا في بعض المؤلفات النقدية، والأطاريح العلمية، والمقالات المتنوعة المهتمة بالسيرة الذاتية السعودية، وكان الإشكال أكثر وضوحا في جر بعض الأجناس الأدبية إلى رحاب هذا اللون السيرذاتي، كما هو الحال في إقحام الرسائل، واليوميات، والمذكرات، والرحلة في السيرة الذاتية"(١).

لقد عنيتُ كثيرا بأدب كتابة الذات بعامة، وما هذه الدراسة إلا جزء من ذلك الاهتمام الذي يُعنى بالوقوف على الفروق الدقيقة بين أنواعه، تلك الفروق الواضحة تنظيرا، التائهة من الناحية التطبيقية، فآثرت أن يكون البحث تنظيرا وتطبيقا على عينة اخترتها بعناية لتوضيح المراد، ولبيان الفرق، فكانت مدونات الأديب الكبير غازي القصيبي؛ نظرا لكثرتها وتنوعها، فغازي القصيبي كرر كتابته عن الذات في مؤلفات عدة، ولا عجب في هذا؛ فهو الإنسان والشاعر والروائي والقيادي الناجح، وربما زاد القارئ على ما ذكرت عنه، إذا تتبع التفاصيل الدقيقة لحياته المتشعبة السبل، المتعددة المهام.

---

(١) فهد البكر، "السيرة الذاتية وإشكالية التجنيس الأدبي: قراءة ثانية لبعض الأعمال النقدية السعودية"، "السجل العلمي لملتقى النقد الأدبي، الدورة السابعة، السيرة الذاتية في الخطاب النقدي السعودي" (الرياض: النادي الأدبي، ط١. ٢٠١٩م)، ٥٠٦.

وحتى أقوم بهذه المهمة على أكمل وجه اخترت لدراستي المنهج الإنشائي الذي يعنى بأدبية الأدب[١]؛ أي بمقوماته التي جعلته على هذا النحو الأجناسي الذي نراه.

وجعلت البحث في مقدمة وتمهيد يعرف بأدب كتابة الذات وأنواعه، ثم وقفت على بعض أسباب الخلط بينها، وعرفت بالمدونة المدروسة، وجعلت المبحث الأول لدراسة العقد القرائي، ودرست في الثاني المدونة في الميزان النقدي، ودرست في الثالث المقومات الإنشائية للأنواع المتداخلة، وصنفت المدونة بحسب تلك المقومات، وبعد ذلك جاءت الخاتمة التي تضمنت أبرز النتائج، وأهم التوصيات.

**

(١) انظر: محمد القاضي، تحليل النص السردي بين النظرية والتطبيق، (تونس: مسكيلياني للنشر، ٢٠٠٣م)، ١٢.

التمهيد

يشير مصطلح أدب كتابة الذات، أو أدب كتابة الأنا إلى "جنس جامع لضروب من الكتابة السردية تتخذ من ذات المؤلف مدارا لها وتقوم على التطابق الصريح بين أعوان السرد الثلاثة: المؤلف والراوي والشخصية. وتعد السيرة الذاتية واليوميات الخاصة والاعترافات والرسم الذاتي والمذكرات من أشهر كتابات الأنا. فهذه الأشكال من الكتابة وإن اختلفت فيما بينها وتنوع توظيفها تقنيات السرد، فإنها تلتقي في اعتماد حياة المؤلف مصدرا للكتابة ومادة لها وموضوعا. وذلك بقص سيرته أو تسجيل ما يجري له من وقائع يوما بيوم أو عرض ملامحه النفسية والجسدية أو استحضار ذكرياته عن الناس والعصر"(١).

ويقع اللبس كثيرا بين أنواع كتابة الذات باعتراف كثير من النقاد، ويشير بعضهم إلى تلك الأنواع التي تلتبس ببعضها، أو تلتبس مع السيرة الذاتية بصفتها النوع الأكثر شيوعا من أنواع كتابة الذات، و"يظهر الخلط الواسع في استعمالها بصفتها مصطلحات تتناوب في دلالة بعضها على بعض... وتشكل هذه الأنواع الأدبية – فيما أعتقد– سببا مباشرا لاضطراب التصور في كثير من الدراسات المعاصرة، وعائقا دون اكتماله ودقته"(٢).

وأكثر ما يكون الخلط، من وجهة نظري، ووفق متابعتي واطلاعي، بين السيرة الذاتية والمذكرات وأدب رسم الذات والرحلات، وهناك أنواع أخرى قد يقع فيها الخلط لكن القارئ العادي لأصولها يكتشف الفروق بينها بسهولة؛ نظرا لصرامة حدودها، أو لشيوع قوالبها مثل الرسائل الشخصية واليوميات، أما أدب الاعتراف

(١) محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، (تونس: دار محمد علي للنشر، ٢٠١٠م)، ٣٥٤.

(٢) أحمد آل مريع، السيرة الذاتية: مقاربة الحد والمفهوم، (تونس: دار صامد ط٣، ٢٠١٠م)، ٥٣.

فأجده تائها بين الأنواع السابقة، أو أنها ابتلعته بسبب ثباتها وصرامة بنائها؛ فقد تجد الاعتراف في السيرة والذكريات والمذكرات، بل وفي أدب رسم الذات، لكن قراءاتي للمدونة الحديثة لا تجد اعترافات خالصة، ولذلك فإنه من الصعب أو المحال – وفق ظني– أن نجد مدونة حديثة خالصة تنسب لأدب الاعتراف، وعلى من يحاول أن يثبت العكس، أن يؤكد ذلك بإحصاء المدونة ودراستها من الناحية الإنشائية المقارنة.

و"تشهد المذكرات في الأدب العربي والآداب الغربية الكثير من الخلط بينها وبين السيرة الذاتية واليوميات، بل وأدب الرحلة أيضا"(١) والحقيقة أني لم أجد خلطا مثل الخلط بين السيرة الذاتية والمذكرات، لدرجة أنك لن تجد رسالة علمية أو كتابا نقديا خالصا يعنى بها، وللحد الذي يجعل المذكرات سيرا، والسير مذكرات.

يقول د. صالح بن معيض الغامدي: " على الرغم من أن نقاد السيرة الذاتية – وجلهم من الغربيين مع الأسف– يعترفون بصعوبة التفريق القطعي والحاد بين الشكلين، إلا أنهم يضعون معيارا عاما وهاما في الوقت نفسه للتفريق بينهما. ففي السيرة الذاتية الصرفة يركز الكاتب على الذات، بينما في المذكرات نجد أن اهتمام الكاتب وتركيزه ينصب على الآخرين من حوله"(٢).

وللدكتور محمد الباردي كلام جميل عن المذكرات يقول فيه: "المسألة في اعتقادنا تتجاوز مجرد استعارة بعض مقومات أدب المذكرة، ذلك أن بعض السير تتخذ شكل المذكرة"(٣)، ومدار الأمر في ذلك قائم على أمرين؛ الموضوع، ودافع

(١) نور الدين بنخوذ، السرد والتاريخ والتخييل، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها، ط١. ٢٠١٦م)، ١٢٧.

(٢) صالح الغامدي، كتابة الذات: دراسات في السيرة الذاتية، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط١. ٢٠١٣م)، ٧٤.

(٣) محمد الباردي، عندما تتكلم الذات: السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١. ٢٠٠٥م)، ١٥٤.

الكتابة؛ فإذا ابتعد الموضوع عن الذات وتعلق بالأحداث العامة دخلنا باب المذكرات، وإذا كان الدافع رواية الأفعال والمشاهدات دخلنا كذلك في باب المذكرات[١].

وتتلخص إشكالات تجنيس المذكرات فيما يأتي:

١-كلام بعض النقاد الغرب قبل العرب بضبابية الحد الفاصل بين السيرة والمذكرات، ومنهم جورج ماي، على الرغم من اعترافه بوجود تلك الحدود في كتابه[٢].

٢-إصرار كثير من نقاد العرب على صعوبة الفصل بين السير والمذكرات[٣] دون أن يهبوا أنفسهم فرصة للتأمل والتدبر في النصوص.

٣-التداخل الشديد بين المذكرات وأنواع كتابة الذات الأخرى، والحقيقة أن الفصل الأجناسي الصارم بات أمرا مستحيل الحدوث في سائر الأجناس الأدبية؛ لذا فإن إلغاء النوع كاملا بحجة اندماجه مع غيره أمر بالغ التعسف.

٤- كثير من كتاب المذكرات من السياسيين والعسكريين، الذين يتهمون في بعض الأحيان بعدم التمكن من الكتابة الأدبية، وعليه فإن مدوناتهم قد تنسب إلى التاريخ أكثر من الأدب، وقد تضاربت الآراء حيال ذلك، إذ "يرى بعضهم أنه من الخطأ تناول كاتب المذكرات الأحداث بوصفه مؤرخا، فإذا حاول الاستئثار بتفسير الأحداث التي شارك فيها فإنه يتجاوز حدوده ويقحم نفسه في موقف قد يؤدي إلى تزييف الحقائق. لكن إذا سرد مذكراته بما يخدم شخصيته ويجلي جوانبها فإن المذكرات عندئذ ينطبق عليها مسمى السيرة الذاتية"[٤].

---

(١) انظر: السابق: ١٥٤-١٥٨.

(٢) انظر: جورج ماي، السيرة الذاتية، ترجمة: محمد القاضي، عبد الله صولة، (أبها: النادي الأدبي، ط١، ٢٠١١م)، ١٦١-١٧٥.

(٣) انظر: عائشة الحكمي، السيرة الذاتية عند أدباء المملكة العربية السعودية في مرحلة الطفرة (١٣٩٠-١٤١٨)، (عمان: دار كنوز المعرفة، ط١، ٢٠١٥م)، ٥٧.

(٤) انظر: الحكمي، السيرة الذاتية، ٥٦-٥٧.

٥–استعمال مصطلح المذكرات عنوانا لمدونات مختلفة مثل السير، والروايات، والشعر كذلك.

وحتى أبين الفروق الدقيقة بين الأنواع المشابهة لها من الكتابات المرجعية أو التخييلية جعلت المقارنة في الجدول الآتي:

المصطلح	التعريف	المقومات والفروق الدقيقة
السيرة الذاتية	"حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته، بصفة خاصة"(١).	– حكي نثري. – تاريخ شخصية معينة. – اسم المؤلف يحيل على شخصية واقعية. – تطابق السارد والشخصية الرئيسة(٢). – الالتزام بالتسلسل الزمني الممتد. – دافعها الحديث عن ذات الشخصية الرئيسة التي تروي حكايتها.
المذكرات	"جنس من أجناس القص المرجعي الوقائعي، إذ يفترض أنها تقول ما حدث فعلا وتزعم الصدق والدقة ضمن ميثاق مرجعي معلن منذ العنوان أو في الفتحة"(٣).	– الاهتمام بالوقائع أكثر من الذات. – عدم الالتزام الكامل بسرد مختلف مراحل الحياة. – لا يلتزم فيها بالتسلسل الزمني الممتد؛ فقد تجيء مجزأة، أو منفصلة؛ لأنه لا تروي حكاية حياة، بل تروى مشاهدات تلك

(١) فيليب لوجون، السيرة الذاتية: الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة: عمر حلي، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٤م) ٢٢.

(٢) انظر: السابق، ٢٢.

(٣) القاضي وآخرون، معجم *السرديات*، ٣٨٠.

		الذات التي عاشت الحياة. – دافعها رواية الوقائع والمشاهدات وفق رؤية ذاتية.
الذكريات	"سرد نثري استعادي يتمتع بحرية استذكارية كافية، ولا يخضع لأي ترتيب زمني محكم"(١).	– لا يخضع لأي ترتيب زمني. – ينفتح على الفضاء العام أكثر من الخاص. – يستعمل الوصف. – ينحاز إلى الموضوعية. – أقل تنظيما وأدنى في حساسية التذكر من المذكرات. – أقل قيمة أدبية من المذكرات(٢). وبناء على ما سبق؛ فوجودها نادر جدا، وقد يكون منعدما.
أدب رسم الذات	"فرع من فروع كتابة الأنا يسعى فيه المؤلف إلى تعريف القراء بحقيقة ذاته وتقديم وصف شامل لنفسه لحظة الكتابة"(٣)، ويمكن أن يكون هذا الفن ذاتيا أو غيريا(٤) .	– يغلب عليه الوصف مع شيء من السرد، والمنطق ووجهات النظر. – ينطلق من لحظة الكتابة، فالزمن فيه منقطع منفصل. – الميل إلى الاختصار (٥).

(١) محمد صابر عبيد، السيرة الذاتية الشعرية: قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية، (إربد: عالم الكتب الحديث، ط١. ٢٠٠٧م)، ١٣٢.

(٢) انظر: السابق: ١٣٢.

(٣) محمد القاضي وآخرون، *معجم السرديات*، ١٩٩.

(٤) انظر: جليلة الطريطر، أدب البورتريه: النظرية والإبداع، (صفاقس: دار محمد علي للنشر، ط١، ٢٠١١م)، ٣٦-٤٤.

(٥) انظر: أسماء الجنوبي، "أدب رسم الذات في المملكة العربية السعودية، هؤلاء عرفت لعبد الفتاح أبو مدين أنموذجا" مجلة الدارة– دارة الملك عبد العزيز، ٤٤، عدد: ٤، (أكتوبر/ ٢٠١٨م)، ٨٩.

اليوميات	"ضرب من ضروب كتابة الأنا يتعهد فيه مؤلف ما بأن يكتب يوما بيوم على نحو حميمي يكاد يكون سريا ما يقع له من أحداث قريبة منه في الزمن قربا يتماس معه الزمن المستذكر وزمن التعليق، فلا يفصل بينهما عادة إلا مدى زمني ضيق لا يتعدى الساعات"(١)	–كتابة فورية مباشرة. –قد تكون سردا. –قد تكون خطابا تحليليا. –تغلب عليه التجزئة والتقطع. – يذكر فيها الزمن (اليوم أو الساعة أو الدقيقة)(٢).
أدب الرحلة	"ذلك الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور أثناء رحلة قام بها لأحد البلدان"(٣).	–هيمنة بنية السفر على النص، وإذا كان حضوره في النصوص حضورا ماديا أو مجازيا أصبح بنية ثانوية. –هيمنة الوصف على الأدب الرحلي، مما يجعله أدبا. –يسترجع تاريخية الموصوف وتحولاته. –تتضافر فيه مكونات السرد(٤).

(١) القاضي وآخرون، معجم *السرديات*، ٤٨٢.

(٢) انظر: السابق، ٤٨٢–٤٤٨٤.

(٣) مؤلفون، الموسوعة العربية العالمية (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ط٢. ١٩٩٩م)، ١١/ ١٤١.

(٤) انظر: مريم بن شيخة،٢٠١٥ –٢٠١٦م، آليات قراءة النص الرحلي: التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل لشعيب حليف أنموذجا، رسالة ماجستير– جامعة العربي بن مهيدي، ٢٥.

إن الفروق الدقيقة التي تفصل بين هذه الأنواع معروفة عند المعتنين بأدب كتابة الذات، ولكن إشكالية التجنيس لا تقع إلا عند التطبيق، ولذلك اخترت مدونة متنوعة لشخصية واحدة مارست كتابة الذات بطريقة مختلفة، وخضعت بعض كتاباتها للنقد وبعضها الآخر كان متاحا للقراءة بكثرة، وذلك لأختبر معها تلك الإشكالية وأضبط بها الحدود والمقومات، فسعيت إلى مراجعة مؤلفات غازي القصيبي النثرية كلها، من سير ومقالات، وروايات، ومذكرات، وبعد ذلك أخرجت منها ما كان منتميا إلى المقالات، أو إلى الروايات، وأخذت من كتاباته النثرية ما كان انتماؤه إلى أدب كتابة الذات المرجعي جليا ظاهرا، فكانت الـ"سيرة الشعرية"، و"حياة في الإدراة"، و"العودة سائحا إلى كالفورنيا"، و"الوزير المرافق"، و"الأسطورة"، مدونة الدراسة، وعمدتها.

قد يقول قائل: ولم لا ندخلها جميعا في أدب السيرة الذاتية، وننتهي من ذلك الإشكال؟ وقد وجدت من يفعل ذلك حقا، ولعلي اقتنعت بهذه الفكرة في بداية اطلاعي على هذا الجنس، ولكني تبينت أن هذا إجحاف بحق العلم والعلماء الذين كدوا ذهنهم في التصنيف والتجنيس، وإجحاف بحق أدب مرجعي مستقل، ولو صدق ذلك لما قلنا بالفصل بين الرواية والأقصوصة والقصة الومضة.

إننا أمام أنواع مختلفة حقا، وآمل أن يخرج القارئ لهذه الدراسة بما يفيده للفصل بين تلك الأنواع.

**

المبحث الأول

الميثاق السيرذاتي أو المرجعي (العقد القرائي)

مصطلح "ابتدعه "فيليب لوجون" (philipp lejeune,١٩٧٥) ويعني به إقرار المؤلف إقرارا صريحا لا لبس فيه بأن ما كتبه هو صورة مطابقة لحياته... ويمكن الإعلان عن هذا الميثاق عبر أشكال متنوعة، أهمها العنوان، والعنوان الفرعي، والإهداء، والمقدمة، والتعاليق المثبتة على غلاف الكتاب، أو حتى الأحاديث الصحفية التي يقوم بها المؤلف زمن نشر الكتاب (نفسه).

وقد توصل "فيليب لوجون" (نفسه) إلى أن الميثاق السيرذاتي هو الخاصية التي تميز السيرة الذاتية من كل الأجناس الأدبية المحيطة بها، تخييلية كانت أو مرجعية"[١].

"وبذلك رفض "لوجون" تصنيف نص ما ضمن السيرة الذاتية، اعتمادا على نزوع القارئ إلى الإحساس بوجود تشابه بين الشخصية الرئيسة في القصة والمؤلف الواقعي في الواقع المرجعي"[٢].

إن هذا الميثاق الذي يعقده المؤلف مع القارئ في الكتابات المرجعية هو نفسه عقد القراءة بعامة الذي يعقد بين المؤلف والقارئ على أي حال؛ فعقد القراءة "مفهوم يتنزل في إطار علاقة النص السردي بمتلقيه، وبه تتحدد المقروئية. وهو جملة مواضعات يقترحها النص القصصي على قارئه، ويتضح بصورة صريحة في النص الحاف"[٣]، وقد يأتي صريحا أو مضمرا.

ولكن قوام عقد القراءة الأساس يتمثل في "استجابة الأثر لمعايير مخصوصة تؤلف في جملتها نظام التلقي، والنص برمجة يتكون أيضا من نقاط الترسيخ،

---

(١) القاضي وآخرون، معجم *السرديات*، ٤٤٦.

(٢) السابق: ٤٤٧.

(٣) السابق، ٢٨٨.

كالعناوين ومعلنات الجنس الأدبي التي تستشف من النص الحاف ومن مواطن الالتباس، من قبيل الفجوات النصية والبياض والإضمار ومن التشاكل الذي هو تكرر عناصر دلالية أو نحوية في النص وإحالتها جميعها إلى مقولة واحدة"[1].

إننا نعول كثيرا على الميثاق السيرذاتي أو المرجعي في تصنيف المدونات من حيث المرجعي أو التخييلي؛ إذ لا يمكن أن نقول عن نص ما سيرة وصاحبه يقول عنه رواية كما حصل مع رواية شقة الحرية لغازي القصيبي، ولا يمكننا أن ننسب لحياة شخصية أحداثا أنكر مؤلفها انتماءها إلى الحقيقة، ولكننا بالمقابل نستطيع أن نخطئ كاتبا قال عن روايته سيرة، وهي مليئة بأحداث مشهود على عدم صحتها من الناس، وهنا ندخل في العقد القرائي الذي تحدثنا عنه.

ولا أنسى أن أشير إلى أمور تشوش على الميثاق والعقد عملهما، مثل الغياب التام، أو التضارب بين عقدين للعمل الواحد، وتبقى العمدة على تصنيف القارئ أو الناقد. ومن ذلك التصريح بميثاقين مختلفين عن المدونة الواحدة، أو غياب الميثاق جملة وتفصيلا، وفي حالتنا هذه يأتي هذا السؤال: هل يمكن أن نعول كثيرا على الميثاق أو العقد في تصنيف مدونات غازي القصيبي من حيث الفروق الدقيقة بين أنواع كتابة الذات؟ وما علينا إلا أن نستعرض تلك المواثيق والعقود لنعرف الجواب.

-**سيرة شعرية:** إن الميثاق السيرذاتي يتجلى لنا في العنوان من البداية "سيرة"، وكفاك بالعنوان شاهدا! لكنه يقيد السيرة بنسبتها إلى الشعر، وهذه النسبة لا تقلل من قيمة هذا العقد ما لم نجد تضادا ينقض ميثاق السيرية الظاهر في العنوان، ثم يقول غازي القصيبي في مقدمة الكتاب: "يمثل هذا الكتاب سيرتي الشعرية ويقف عند هذا الحد لا يكاد يتجاوزه. بمعنى أن هذا الكتاب يتحدث عني كشاعر فحسب لا كتلميذ، ولا كمدرس، ولا كعميد كلية، ولا كإداري، ولا كعضو مجلس الوزراء، ولا

(١) القاضي وآخرون، معجم السرديات، ٢٨٩.

كسفير... وفي كل تجربة من هذه التجارب، وكثير غيرها ما يكفي لكتابة مؤلف. ومنها في مجموعها تتكون السيرة الذاتية الكاملة.

على أن فصل السيرة الشعرية عن السيرة الذاتية أمر بالغ الصعوبة؛ ذلك أن الشعر لا يمثل سوى وجه واحد من شخصية الإنسان الشاعر. وقد حاولت أن أتغلب على هذه الصعوبة بأن أورد في أماكن متفرقة من الكتاب أجزاء من السيرة الذاتية لم يكن هناك بد من إيرادها، متجنبا الاسترسال، مرجئا الحديث المفصل عن حياتي إلى الوقت الذي يتاح لي فيه أن أكتب سيرة ذاتية كاملة"(١).

إن القارئ لمقدمة الكتاب وعنوانه يتأكد أن القصيبي أراد السيرة ذاتها بمقوماتها الإنشائية التي تحدث عنها فيليب لوجون وفصل القول فيها جل المنظرين لأدب كتابة الذات، وقد يتبادر إلى الذهن أن هذا الكتاب يمثل فصلا من فصول حياة القصيبي، بناء على قوله: "ومنها في مجموعها تتكون السيرة الذاتية الكاملة"(٢)، لكن جملة أخرى قالها بعد ذلك تزرع الشك حول هذه الفرضية، تلك الجملة قوله: "على أن فصل السيرة الشعرية عن السيرة الذاتية أمر بالغ الصعوبة، ذلك أن الشعر لا يمثل سوى وجه واحد من شخصية الإنسان الشاعر"(٣)، هذه المواثيق كلها تؤكد انتماء هذا الكتاب بجزئيه إلى النوع السيرذاتي، ولا يبقى إلا أن نخضع العمل للمقومات الإنشائية للسيرة الذاتية للتثبت من سيرة العمل بعد دراسة النصوص الحافة(٤) للنقاد حول هذا العمل.

---

(١) غازي القصيبي، سيرة شعرية، (جدة: مطبوعات تهامة، ط٣. ١٤٢٤هـ)، ٧.

(٢) القصيبي، سيرة شعرية، ٧.

(٣) السابق: ٧.

(٤) النص الحاف: "هو أحد قسمي النص الموازي. ويضم كل النصوص والخطابات السمعية والبصرية المتعلقة بالنص السردي دون أن تجاوره في مساحة الكتاب، ومن هذه النصوص أحاديث المؤلف، والتعاليق الصحفية والمقالات النقدية... فهذه الفئة من النصوص الموازية مفتوحة الزمان، مبثوثة في فضاءات وأطر وسياقات متنوعة. فلا يملك لها المؤلف قيادا=

-**حياة في الإدارة:** هذا العنوان لا يصنف الكتاب من حيث النوع، بل إنه لا يكاد يؤكد جنسه؛ فهو لم يشر إلى انتمائه إلى أدب كتابة الذات بذكر صريح لأي نوع من أنواعه، فقد يطلق هذا العنوان على أي عمل تخييلي سردي، كالرواية مثلا، وما تحمله كلمة (حياة) لا يشهد بمرجعيته، ولا يؤكد نوعه.

لقد جاء العنوان في هيئة جملة اسمية، مكونة من المبتدأ المتمثل في الاسم (حياة)، والخبر المتمثل في شبه الجملة (في الإدارة)، والاسم نكرة تفتح بابها على الذات وسيرتها التي يمكن أن تحيل إلى ذات المؤلف، أو إلى أية ذات متخيلة أخرى، أما شبه الجملة فتأخذنا إلى التخصيص؛ لأن تلك الحياة بطولها وعرضها مضت في الإدارة، فهل تكون هذه المدونة بناء على قراءة العنوان سيرة؟

لكن عتبة اسم الكاتب قد تقود إلى سيرية العمل ومرجعيته؛ لأنه الكتاب الثاني للمؤلف الذي وضع فيه سيرته الشعرية، ووعد القراء بشكل ضمني أن يحدثهم عن مواطن أخرى من حياته، وهذا يحمل القراء إلى الاعتقاد بالمرجعية أولا وبالسيرية ثانيا.

ثم تأتي مقدمة المؤلف لتنقض الاعتقاد السابق، حيث قال: "كاتب **المذكرات** قد يتعرض لأحداث يعرفها الناس جميعا، ولكنه يعالجها من زاوية جديدة برؤية من الداخل، يمكن أن تشكل إضافة جديدة، وهامة للمعلومات المتداولة"[1]. إن ذكر مصطلح المذكرات ينقض الاعتقاد السابق حول النوع، ويجعلها ضالعة في نوع

=وليس له على أغلبها سلطا، وهذه الميزة تكسب هذا الضرب من النص الموازي أهمية قصوى في نظر القارئ والباحث معا. فعلاوة على ما يضطلع به النص الحاف من دور تفسيري للنص السردي، فإنه يتيح لنا أن نحيط علما بما واكب النص طوال تاريخه من قراءات مختلفة وتآويل متعددة أضحت مع الزمن جزءا من مقروئيته، لا محيد للباحث من الوقوف عليها" القاضي وآخرون، *معجم السرديات*، ٤٥٦.

(١) غازي القصيبي، حياة في الإدارة، غازي القصيبي، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١٣، ٢٠٠٦م)، ٧.

المذكرات، كما أن حديثه الذي جاء بعد المصطلح يكاد أن يأخذنا إلى التأكيد؛ لأن فيه وعيا بماهية النوع، لكن غازي القصيبي بعد ذلك أربكنا وقال: "رأيت أن الوقت قد حان للكتابة عن **سيرتي** الإدارية". إن هذا التصريح بمصطلح السيرة يجعلنا أمام ارتباك في الجهاز الاصطلاحي لأدب كتابة الذات، فكيف لمدونة واحدة أن تنتمي إلى نوعين مختلفين؟ وهذا يعود بنا إلى ما سبق الحديث عنه حول ضبابية المفهوم عند كثير من كتاب الجنس.

إن هذا الكلام يضعنا في حيرة بين نوعين؛ لأنه تحدث عن المذكرات، وصرح بأن ما يكتبه سيرة، فإلى أي النوعين ينتمي هذا العمل؟ إن الحد الفاصل هنا في انتماء هذا الكتاب إلى المذكرات أو السير يتجلى بالنظر إلى الأمرين؛ نسبة حضور الذات إلى المشاهدات، وطريقة السرد.

وعلى الرغم من ارتباكنا بين المصطلحين لكننا –على الأقل– خرجنا من التخييل إلى المرجعية باعترافه بمصطلحين ينتميان إلى أدب كتابة الذات.

–**الوزير المرافق:** عنوان هذا الكتاب مكون من كلمتين، الأولى تدل على مهنة، والثانية تشير إلى صفة، وهذا العنوان يعد خبرا لمبتدأ محذوف يمكن تقديره باليوميات، أو المذكرات، أو الذكريات، فتكون الجملة الاسمية: يوميات الوزير المرافق، أو ما شابهها، وبذلك تحيل عتبة العنوان بشكل ضمني إلى جنس كتابة الذات بعامة، ولا تؤكد نوعه بصفة خاصة.

ثم قال غازي القصيبي عن كتابه هذا في المقدمة: "قلت في كتابي "حياة في الإدارة": "كانت هناك بين الحين والحين مهام تأخذ الوزير من دوامة العمل الروتيني اليومي، أبرز هذه المهام مرافقة الملك وولي العهد في الزيارات الرسمية، ومرافقة رؤساء الدول الذين يزورون المملكة، والمساهمة في المؤتمرات المختلفة".

وخلال عملي في وزارة الصناعة والكهرباء والصحة، كلفت بعدد كبير من هذه المهام. وفي هذا الكتاب فصول تحمل انطباعاتي الشخصية عن عدد من رؤساء

الدول والحكومات أتيح لي أن أشاهدهم عن كثب... وقد حرصت أن تبقى هذه الانطباعات كما دونتها أول مرة، منذ سنين طويلة، دون أن أحاول تصحيح أو تعديل ما كتبته في ضوء التطورات اللاحقة"[1]، ثم استشهد غازي القصيبي بقوله تعالى: ﴿وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين﴾ سورة يوسف.

هذا ما صرح به غازي القصيبي في المقدمة وفي قوله: "انطباعات" إشارة إلى انتماء هذا الكتاب إلى شكل المذكرات، أو الذكريات، لكن الناشر وضع إشارة في أعلى الغلاف من الأمام والخلف كتب عليها: "سيرة سيرة"، وكذلك وجدت هذه الإشارة في صفحة العنوان من الداخل، وما يزال في الأمر نظر؛ لأنني لم أتتبع الطبعات الأخرى، إذا كانت قد حملت الإشارة ذاتها أو لا، ولا نعلم هل وضعت تلك الإشارة بإيعاز من المؤلف أو لا؛ لأنها لم تأخذ هيئة العنوان الفرعي، بل حضرت بطريقة فنية في الأعلى فقط. بقي عليَّ أن أشير إلى أن اقتباس المؤلف من كتابه "حياة في الإدارة" في بداية مقدمة الكتاب، يدل – بشكل أو بآخر– على انتماء هذا إلى ذاك، فإن كان الأول سيرة فالثاني كذلك.

أما استشهاده بالآية الكريمة فله دلالته الكبرى قطعا؛ لأن غازي القصيبي وظفها في المقدمة، واستشعر مسؤولية وجودها، ووجودها يحملنا إلى المذكرات؛ لأن الكاتب يقول – بشكل غير مباشر– إنه كان ينقل الحدث بوصفه شاهدا فقط، والشاهد لا يحيل على الذات بقدر ما يحيل على وقائع.

–**العودة سائحا إلى كاليفورنيا:** يظهر أدب الرحلة واضحا جليا للقارئ بدءا من عتبة العنوان؛ فالعنوان جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر متمثل في شبه الجملة، ويتوسط الحال الجملة ليخترق أي تأويل قد يتبادر إلى الذهن عن الهجرة أو المنفى، وليفتح الباب لتأويلات أخرى، فهذه المرة سيكون الغريب سائحا، مما يعني

(١) غازي القصيبي، الوزير المرافق، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٥، ٢٠٢٠م)، ٧.

أنه قد جاء إلى هذا المكان في مهمات أخرى، فقد جاءها من قبل دارسا، وجاءها في مهمات عمل، وهذه المرة يعود سائحا.

إن كلمة العودة نفسها تحمل دلالات وتأويلات، فهل كان راغبا في العودة أو مرغما، وهل تحمل هذه العودة ذكريات سعيدة آسرة، أو إحباطات بائسة؟

لقد عد هذا العنوان من العنوانات الأجناسية الضمنية؛ لأنه "يخلو من كلمة (رحلة) ويستخدم مفردات قريبة من معناها تؤشر إلى معنى السفر والارتحال، وتؤشر إلى جنس (الرحلة)، وقد عكست المدونة الرحلية غنى واضحا في هذه المؤشرات الأجناسية في العناوين"(١).

لم يكتب غازي القصيبي بعد ذلك أي عنوان فرعي يحدد الجنس أو النوع، بالإضافة إلى أن هذا الكتاب ليس له مقدمة، لكنه يحمل إهداء، يتضمن دلالات حول الميثاق والشكل؛ فقد كتب في صفحته "الإهداء إلى رفاق الطريق"(٢)، إن هذا الإهداء المختصر، مع العنوان الشفيف يشيران إلى الأدب الرحلي، فهل كان هذا الكتاب كذلك، بلا أدنى لبس؟

أما الناشر فقد وضع على الغلاف من الخلف قوله: "بعد حوالي عشرين عاما على تخرجه من ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة، يعود إليها غازي القصيبي سائحا مع عائلته. عين الكاتب والسائح معا تدفعه إلى ملاحظة التغييرات الحاصلة في الأمكنة والناس والحياة. ويصف شعوره عندما زار جامعته ومسكنه السابقين.

بأسلوبه الساخر والممتع يقارب القصيبي بين المجتمعين الأمريكي والسعودي، منتقدا افتقار مجتمعه إلى مظاهر حضارية بناءة رغم الإمكانات المتاحة"(٣).

---

(١) سالم الضمادي، ١٤٣٨/ ١٤٣٩هـ، أدبية النص الرحلي السعودي، رسالة دكتوراه–جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: ٥٤.

(٢) القصيبي، الوزير المرافق، ٧.

(٣) السابق: الجلادة.

جميع تلك الإشارات تؤكد رحليّة الكتاب، لكنها لا ترتقي إلى درجة المواثيق، والعقود الصريحة الواضحة، فضلا عن وجود الترابط الوثيق بين الرحلة والسيرة الذاتية؛ نظرا لانتماء النوعين إلى الأدب المرجعي، بالإضافة إلى وجود السرد الرحلي في كثير من مدونات السيرة الذاتية، مما يجعل الفصل "بين عناصر هذين الجنسين أمرا بالغ الصعوبة في بعض الأحيان[١]، ويبقى الشك، لا يمحوه إلا يقين النظر في بقية الموازين.

-**الأسطورة:** عنوان مكون من كلمة واحدة، كلمة واحدة لكنها تحمل هيبة عظيمة؛ لأنها تستمد هيبتها من عمقها الفكري الضارب في التفكير في البشري.

قيل إنها "الأباطيل"[٢] أو "أحاديث لا نظام لها"[٣]، واختلف في تعريفها باختلاف الدراسين لها، "ومن أفضل التعريفات الشاملة لمختلف خصائصها تعريف الفيلسوف الفرنسي بول ريكور (paul ricoeur) في الموسوعة الكونية إذ يقول: "الأسطورة حكاية تقليدية تروي وقائع حدثت في بداية الزمان وتهدف إلى تأسيس أعمال البشر الطقوسية حاضرا، وبصفة عامة إلى تأسيس جميع أشكال الفعل والفكر التي بواسطتها يحدد الإنسان موقعه من العالم. فالأسطورة إذ تثبت الأعمال الطقوسية ذات الدلالة تعرفنا عندما يتلاشى بعدها التفسيري للأسباب والمسببات بما لها من مغزى استكشافي. وهي تتجلى من خلال وظيفتها الرمزية أي فيما لها قدرة على الكشف عن صلة الإنسان بما هو مقدس بالنسبة إليه"[٤]،

---

(١) انظر: جزاع الشمري، أجناسية السيرة الذاتية السعودية، (الرياض: النادي الأدبي، ط١، ٢٠١٨م)، ١٠٣-١١٠.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط١، ١٩٩٠م)، (سطر) ٤/ ٣٦٣.

(٣) السابق: ٤/ ٣٦٣.

(٤) المقال مكتوب باللغة الفرنسية، وقد نقله د. محمد عجينة في الكتاب الذي آتي على ذكره في الحاشية.

وهو تعريف يجمع بين شكلها السردي النموذجي المؤسس للفكر والفعل ووظيفتها الرمزية"[١].

لكن غازي القصيبي يضع للأسطورة تعريفا آخر يقول: "الأسطورة هي ذهابك عن الدنيا:

وتركت في الدنيا دويا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر[٢]"[٣]

وعلى أي حال فإن فهمنا لمعنى العنوان لا يقودنا إلى جنسه أو إلى نوعه؛ لأن العنوان قد يحيل إلى العلوم التي تناولت الأسطورة، كالأدب والنقد، والفلسفة، والأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم، لكن بقية العتبات تعضد بعضها بعضا لإضاءة مفهوم الكتاب، والكشف عن عقده القرائي؛ إذ تحضر صورة الأميرة ديانا أميرة ويلز في بعض الطبعات، ويحضر رسم لها في الطبعات الأخرى، مما يشير إلى أن الكتاب يتحدث عنها.

أما الناشر فقال عنه: " يتحدث هذ الكتاب عن الأميرة ديانا سبنسر: عن مقابلات رسمية للمؤلف معها حين كان سفيرا لبلاده في لندن، وأحاديث شخصية بعضها عابر وبعضها الآخر رسمي، وبعضها جاد وبعضها طريف. لكن أسلوب القصيبي، الذي يتسم بالمرح والدعابة والظرف، أضفى على جديتها طابع الخفة واللطافة والمرح.

وفي هذا الكتاب، يتضح إعجاب القصيبي بتلك الشخصية الساحرة الشجاعة المفعمة بالحرية والنافرة من السلطة...

---

(١) محمد عجينة، حفريات في الأدب والأساطير (تونس: دار المعرفة للنشر، ط١، ٢٠٠٦م)، ٢٥-٢٦.

(٢) العكبري، شرح، ديوان أبي الطيب المتنبي، (بيروت: دار المعرفة، (د.ت))، ٢/ ١٤٩.

(٣) غازي القصيبي، الأسطورة، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٧، ٢٠٢١م)، ٧.

(الحرية): أحد أهم مفاتيح التي تدخلنا إلى عوالم القصيبي وفضاءاته الوجدانية. لقد اختطفته السلطة أيضا. لكنه لم يتوقف قط عن الحلم بعكس اتجاهها "[١].

كلام الناشر يوحي بأن حديث القصيبي عن الأميرة ديانا يدخل فيما يسميه علماء النفس بالإسقاط، لكنه لم يتجرأ على تصنيف الكتاب، وقال عنه: "الأسطورة/ كتابات"[٢]، وفي هذ التصنيف نظر.

إن وجود الصورة مع كلام الناشر يقف على ذات غير ذات القصيبي، وذلك يعني أننا أمام سيرة غيرية، أو أدب رسم الذات، أو المذكرات؛ لأن الناشر أشار إلى حرية القصيبي وذاته، مما يجعل انتماء هذا النوع إلى أدب المذكرات ممكنا.

أما الإهداء فقال فيه غازي القصيبي: "إلى فهد فواز فهد عبد الرحمن القصيبي الذي أراد أن يربي فراشة قصة فراشة أخرى"[٣]، وكلمة قصة تدل على رغبة القصيبي في سرد قصة الأميرة ديانا لابنه وللقراء، وسرد الآخر يلوح بأدب السيرة الغيرية، ولا يجزم به.

إن أول ما يتبادر إلى ذهن القارئ بعد الوقوف على تلك العتبات أن هذا الكتاب يندرج ضمن الذاتي الغيري؛ لأن عماده يقوم على سرد حكاية ذات أخرى، ولكن تلك الإشارات كلها لا تتسم بالوضوح اللازم الذي يجعل الجزم بنوعها مسألة مسلمة.

وبعد، فإن تتبع العتبات النصية، والمواثيق القرائية، يؤكد ضبابية المصطلحات النقدية النوعية، وتضاربها عند المؤلف أولا بصفته مبدع العمل، والمسؤول الأول

---

(١) القصيبي، الأسطورة، الجلادة.

(٢) انظر: السابق: الغلاف الداخلي للكتاب.

(٣) السابق: ٥.

عن تجنيسه، والناشر ثانيا بصفته ممثلا للمؤلف أمام المتلقين، والوعاء الأول لتلقي العمل وفهمه.

أما غازي القصيبي (رحمة الله عليه)، فما الذي عليه –وهو العاشق لأدب المتنبي؟ لا أظنه إلا متمثلا قوله:

"**أنام ملء عيوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم**"(١)

**

(١) العكبري، *ديوان المتنبي*، ٣/ ٣٦٧.

المبحث الثاني

الميزان النقدي

وهو ما يسمى بالنصية الواصفة أو النص على النص (metatextualite)، أو النص الحاف "ويتعلق بالعلاقات بين النص والنصوص التي تتحدث عنه. فهو مجال العلاقات النقدية"[1]، ودراسة ذلك تقع في مجال دراسات النصية الموازية، ونظرية التلقي.

وتقع أهمية دراسة الميزان النقدي لهذه المدونات في مكان كبير من الدراسات الأجناسية؛ لأنها تمثل مرحلة التلقي التصنيفي للعمل الأدبي، وتمثل ذلك القارئ الذي اطلع على المدونة، وكون انطباعه الذاتي، أو مارس عمله النقدي، سواء كان ناقدا مطلعا متابعا، أو قارئا هاويا.

لكن الناقد يزيد على القارئ بميزتين، الأولى تدوينه للرؤى النقدية، والثانية وعيه بالتصنيف الأجناسي، مما يضيف إلى بيان النوع بيانا، قد يتفق مع العقد القرائي، أو يختلف، وهذا ما يسمى بالتلقي النقدي.

إن هذا الجزء من الدراسة يهدف إلى تتبع العملية النقدية التي صاحبت تلك المدونات الذاتية؛ للوقوف على مناطق الاتفاق بين جهة الإنشاء (المؤلف، الناشر)، وجهة التلقي (الناقد، القارئ)؛ لأن اتفاق هاتين الجهتين يؤكد النوع، ويخطو بنا نحو اليقين به، أو أنه بالمقابل يمكن أن يؤكد لنا وقوع الخلط النقدي عند المتلقي لأدب كتابة الذات.

– **سيرة شعرية:** لم تحظ مدونات القصيبي في كتابة الذات، بمثل ما حظيت به سيرته الشعرية وحياة في الإدراة من النقد؛ فقد درسها النقاد بكثرة وأنفقوا وقتا في تصنيفها وتدبرها، وتجيء بعدها كتاباته الأخرى متفاوتة من حيث العناية والتحليل.

---

(١) القاضي وآخرون، معجم *السرديات*: ١١٦.

أما السيرة الشعرية فوصفها أ.د. عبد الله الحيدري بالسيرة المتجزأة، حيث قال: "خطا غازي القصيبي بكتابه سيرة شعرية بفن السيرة الذاتية خطوات إلى الأمام مع أنها سيرة متجزأة وليست متكاملة"(١)، ثم قال: "والمطالع لسيرة شعرية لا بد أن يلحظ حرص القصيبي على الترابط الزمني وتطور الشخصية؛ مما يؤكد وعيه التام بفن السيرة الذاتية"(٢).

إن د. عبد الله الحيدري الذي يعد من أهم المعتنين بالسيرة الذاتية في المملكة العربية السعودية، يقر بسيرية هذا الكتاب، ويلفت الانتباه إلى أمرين؛ الأول الترابط الزمني؛ إذ شملت هذه السيرة مراحل كبيرة من حياة القصيبي، وكانت تحرص على التسلسل التاريخي، وهذا ملمح سيرذاتي لا يمكن إغفاله، والثاني تطور الشخصية؛ لأنه من المعروف في السير الذاتية أن الشخصية تتطور بتطور مراحل العمر.

وكذلك صنفها أ.د. أحمد آل مريع، وقال في ذلك: "أقصد بالسيرة الجزئية / الجانبية تلك السيرة التي يكتبها صاحبها عن وجه من الوجوه في حياته، أو يرصد بها مرحلة محدودة من مراحل سيرته. والباحث لا يرى هذا النوع الأدبي من الكتابة سيرة ذاتية بالمعنى الدقيق؛ لأنها لا تنتظم حياة كاتبها بعامة، ولذلك فهي سيرة جزئية قاصرة، وينبغي في السيرة الذاتية أن تكون عامة وشاملة لحياة الكاتب ومسيرته في الدنيا"(٣).

لقد أدخل د. أحمد آل مريع سيرة القصيبي الشعرية في النطاق السيرذاتي، لكنه جعلها درجة أدنى من السيرة الذاتية الكاملة؛ لأنه يشترط في السيرة الذاتية الشمول والعموم.

---

(١) عبد الله الحيدري، السيرة الذاتية في الأدب السعودي، (الرياض: دار طويق للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ)، ٢١٩.

(٢) الحيدري، السيرة الذاتية، ٢٢١.

(٣) آل مريع، *السيرة الذاتية*، ٨٠.

إنه يقول: "استوعبت شيئا يسيرا من سيرته الفنية الشعرية، ولا يزال في تجربته الشعرية والنثرية – أيضا – متسع لكتاب أو لكتب أخرى"(١).

والسؤال الذي لم يفكر به أحد، يقول: لم اختار غازي القصيبي الجانب الشعري من وجوده الإنساني للحكي، وقدمه على غيره من الجوانب؟ ولم أردف جزءها الأول بثان، وفي قدرته أن يكتب عن جانب آخر؟ ألا يمكن أن يكون الجواب متمثلا في الذات الشاعرة التي لا تستطيع أن تنفك عن الذات الإنسانية؟ لقد قال القصيبي هذه الإجابة بشكل أو بآخر عندما تحدث عن صعوبة الفصل التي استشهدت بها في مبحث العقد القرائي.

أما د. محمد الدوغان الذي خص هذا الكتاب بكتاب كامل، فقد جعلها سيرة ذاتية، إذ قال: "سار الشاعر في هذه السيرة على المنهج التاريخي برصد النشأة الشعرية، والعلاقات الأدبية المبكرة مع الآخرين، ويسجل أبرز الأحداث والمواقف التي أسهمت في صنع تجاربه في إطار منظم مقسم على أطوار حياته الأدبية بنظرة تاريخية تتحرى دقة التوقيت وزمن المواقف والأحداث، غير مغفلة الخطوط النفسية التي زامنت تلك الأطوار..."(٢).

أما د. عائشة الحكمي فقد فصلت في مقومات هذا العمل السيرذاتية، وخلصت إلى أن هذه السيرة "تمثل مرحلة جديدة من مراحل تطور السيرة الذاتية في الأدب السعودي"(٣).

وبناء على ما سبق من آراء النقاد، واتفاقها مع العقد القرائي الظاهر، تكون "سيرة شعرية" كتابا سيريا بامتياز، ويبقى لنا أن نعزز العقد والنقد بدراسة المقومات.

---

(١) السابق: ٨٣.

(٢) محمد الدوغان، السيرة الشعرية: الرؤية والأداء، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ٢٠٠٣م)، ٨.

(٣) عائشة الحكمي، *السيرة الذاتية*، ١٤٤.

–**حياة في الإدارة:** يصنفه كثير من القراء جنسا سيرذاتيا، ممثلا لضلع مختلف من أضلاع سيرة غازي القصيبي الذاتية، يقول د. منصور المهوس: "تأتي سيرة القصيبي الإدارية بعد نتاج سردي له متتابع. وأريد أن أشير إلى أن للقصيبي سيرة شعرية سبقت هذه السيرة الإدارية، وهي سيرة شعرية من جزأين"(١).

ويقر مساعد الجنوبي بسيرية حياة في الإدارة، إذ قال: "اختار غازي القصيبي "حياة في الإدارة" عنوانا لسيرته الذاتية، وكأن العنوان يشير إلى حقبة زمنية محددة من حياته العملية والإدارية فقط"(٢)، ويجيء هذا الإقرار مع درس لتداخل هذه السيرة مع اليوميات والمذكرات، مع نهاية لا تنتهي بنفي السيرية مطلقا.

وكذلك صنفت "حياة في الإدارة" سيرة ذاتية عند أحمد هروبي(٣)، ونوف المحيش التي قالت: "وسيرة (حياة في الإدارة) لغازي القصيبي الذي أشار إلى جنس السيرة في أعلى غلافه"(٤)، هذه الإشارة لم أجدها في الطبعة الموجودة معي، لكنني وجدتها في طبعات أخرى، ربما كانت من إضافات الناشر.

لكن المفاجأة التصنيفية لهذا العمل كانت على يد د. نور الدين بنخوذ الذي جعل هذا العمل مع المذكرات لا السير، وهو العالم المطلع على الفروق الدقيقة

---

(١) منصور المهوس، "التكوين الجمالي للسيرة الذاتية في الأدب السعودي الحديث (حياة في الإدارة) لغازي القصيبي أنموذجا" (الرياض: كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود، ٢٠١٣م)، ٣٠٧.

(٢) مساعد الجنوبي، "تداخل الأجناس الأدبية في السيرة الذاتية "حياة في الإدارة" لغازي القصيبي أنموذجا" (الرياض: كرسي الأدب السعودي. جامعة الملك سعود، ٢٠١٨م)، ١٣٧.

(٣) انظر: أحمد هروبي، ٢٠١٢م، الذات في السيرة الذاتية السعودية من عام ١٣٧٤هـ إلى عام ١٤٣٩هـ، رسالة دكتوراة– جامعة الملك خالد، ٢٧.

(٤) نوف المحيش، ١٤٣٧/ ١٤٣٨هـ، عتبات النص في السيرة الذاتية في الأدب السعودي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٥.

بين السير والمذكرات. وجاء تصنيفه لـ "حياة في الإدارة" بالمذكرات، بعد أن ناقش الفرق النوعي، وأرسى حدوده، وأسباب الخلط فيه، لقد قال: "وأما النموذج الثالث فهو مذكرات غازي عبد الرحمن القصيبي وهي بعنوان: "حياة في الإدارة". وقد أصدرها سنة ١٩٩٨م. وقد صور الكاتب في مذكراته علاقته بالإدارة منذ أيام الدراسة قبل أن يروي قصة حياته المهنية"(١).

إن كلام الدكتور نور الدين بنخوذ يقف بنا على طرفي نقيض؛ فهو يؤكد انتماء هذا الكتاب لشكل المذكرات، لكنه يقول إنها بدأت من أيام الدراسة، مما يؤكد تتابعها الزمني، وبدء السيرة في السرد قبل الولوج إلى الجانب المهني، وهذا ملمح سيرذاتي أكثر من كونه مذكراتي، وتبقى العمدة على الذات والدافع، وهذا ما سندرسه في المبحث القادم.

وعلى الرغم من إقرار كثير من المتلقين بسيرية العمل، لكن تصنيف د. نور الدين بنخوذ يجب أن يؤخذ به؛ للتفكير والنظر في النوع، وكلمة الفصل في النهاية ستكون للمقومات النوعية الأجناسية.

-**الوزير المرافق:** صنف الكتاب ضمن الذكريات والحوارات في جريدة الجزيرة(٢)، وقد جعلتها كثير من الدراسات سيرة ذاتية، مثل د. سوسن عبد الجبار التي قالت عن الكتاب: "قدم غازي القصيبي في كتابه (الوزير المرافق) سيرته الدبلوماسية الشخصية لسنوات حياته في وزارتي الصناعة والكهرباء والصحة"(٣)،

(١) بنخوذ، *السرد والتاريخ والتخييل*، ١٣٧.

(٢) الثقافية، الوزير المرافق، صحيفة الجزيرة، العدد ١٤٠٧٨، (الجمعة ١١، جمادى الأول، ١٤٣٢): https://www.al-jazirah.com/٢٠١١/٢٠١١٠٤١٥/cu٥.htm

(٣) سوسن جبار، "غازي عبد الرحمن القصيبي: دراسة في حياته ومؤلفاته ١٩٤٠-٢٠١٠م"،

وجعله مساعد الجنوبي ضمن السير الذاتية لغازي القصيبي، على أساس أن ما كتبه غازي القصيبي عن الذات يصب كله في خانة السير الذاتية[١].

ذلك التصنيف كله له وجاهته التي يجب أن توضع في حسابنا عند تلقي هذا العمل وتصنيفه.

–**العودة سائحا إلى كاليفورنيا:** جعلته دراسة د. سوسن رواية، إذ قالت المؤلفة: "الرواية مثلت أشهر أعماله الروائية شرحا تحليليا لأحداث عن خاطرات هادفة تأخذ في منحاها الواقعية بدءا من "براثن البيروقراطية" إلى "الدوران حول الأماكن القديمة"[٢]، أما د. سعد السعد فقال عند تعريفه بشخصية غازي القصيبي: "وهو روائي أيضا، له في هذا المجال:...، العودة سائحا إلى كاليفورنيا،..."[٣]، وكذلك اختار لها آخرون جنس الرواية[٤]، ولا أدري كيف يكون هذا العمل رواية، وهو لا ينتمي إلى التخييل بأي حال من الأحوال!

أما المطلعون على أدب الرحلة من النقاد والدارسين، فلا يشكون بانتماء العمل إلى الأدب الرحلي، مثل محمد منصور الهدوي[٥]، وسالم الضمادي[٦]، وروعة آل

---

(١) انظر: الجنوبي، *تداخل الأجناس الأدبية*، ١٢٠.

(٢) جبار، *غازي القصيبي*، ٧٧٨.

(٣) سعد السعد، مع غازي القصيبي "قصص وذكريات وأشعار ومراسلات" تكشف لأول مرة، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ٢٠٢٠م)، ٢١.

(٤) انظر: "غازي القصيبي المثير للجدل دائما"، مجلة فكر ع٩، ٢٠١٥ م، ٢٨ –٢.

(٥) انظر: محمد منصور الهدوي، "حول أدب الرحلات العربية الحديثة"، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، سوريا. ٢٠٢١م. العدد: ٦٩١: ١٥٧–١٦٠.

(٦) انظر: سالم الضمادي، ١٤٣٨هـ/ ١٤٣٩هـ، أدبية النص الرحلي السعودي، رسالة دكتوراة–جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٥٤–٥٥.

سلمان[1]، وبين الرحلة والرواية والسيرة مسافة طويلة تقف عند دراسة مقومات العمل للجزم بالنوع الذاتي الذي ينتمي إليه.

-**الأسطورة:** لم يحظ هذا العمل بكثير من التقدير النقدي الذي يليق بمكانته عند القراء، ولا أجد لذلك سببا غير عصيان التصنيف -إذا صح القول بذلك- وعلى أي حال فإن ما عثرت عليه من كتابات حول هذا العمل تجعله ضمن المقالات[2]، وربما كان التناول الحقيقي لهذا العمل في دراسة ماجستير بعنوان: "المقالة في أدب غازي القصيبي حتى عام ١٤٢٦هـ"، وجعلت الدراسة هذا العمل ضمن مدونته، وقالت عنه: "ومن الشخصيات العالمية التي كتب عنها، وكان لها أثر في نفسه شخصية (الأميرة ديانا)، حيث كتب عنها مقالة طويلة بعنوان (الأسطورة)، وهي مقالة تجمع بين مقالة السيرة، والصورة الشخصية[3]".

لقد أدرجت الباحثة الكتاب ضمن جنس المقالة، وجل التعريفات التي جاءت بها للمقالة تقر بالطول المعتدل للمقالات، والكتاب يقع في ٩٦ صفحة.

إن هذا التصنيف يجمع بين المنطقية والغرابة في الوقت ذاته؛ لأنه قد يدخل ضمن أدب رسم الذات الذي قد يرد في صورة المقالة في بعض الأحيان، ولكن النظر إلى حجم الكتاب يرد انتماءه للمقالة بصورة سريعة جدا.

إن الاطلاع السريع على النصوص الحافة بمدونات أدب كتابة الذات لا يساوره أدنى شك حول إشكالية التجنيس النوعي لأدب كتابة الذات لدرجة قد تصل إلى حدود غير معقولة، في بعض الأحيان.

---

(١) انظر: روعة آل سليمان، ٢٠٢١م، صورة أمريكا في كتابات الرحالة السعوديين من خلال النقد الثقافي من عام ١٤٠٧هـ إلى عام ١٤٣٧هـ، رسالة ماجستير- جامعة الملك خالد، ١١.

(٢) انظر: السعد، مع د/ غازي القصيبي، ٢٢.

(٣) علياء الغامدي، ٢٠٠٧م، المقالة في أدب غازي القصيبي حتى عام ١٤٢٦، رسالة ماجستير- جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، ٤٣.

المبحث الثالث

في إنشائية مدونة غازي القصيبي الذاتية

يهدف هذا المبحث إلى اختبار مدونات غازي القصيبي الذاتية من حيث دراسة مقوماته الإنشائية؛ للتثبت من نوعها الذاتي، بعد دراسة عقودها القرائية، ومواثيقها المرجعية في المبحث الأول، وتلقي النقاد والقراء لها من جهة التصنيف النوعي للجنس في المبحث الثاني، فإذا اتفق العقد والقارئ والبناء، جزمنا بالانتماء إلى النوع، وإذا اختلف هؤلاء جميعا، كان للبناء وقواعده الإنشائية كلمة الفصل.

–**سيرة شعرية:** عنوان هذا الكتاب يصرح بنوعه؛ فهو يقول سيرة، ولا يخصها بالذاتية لكنه يخصها بالشعرية، وكأنه يختار من مكونات تلك الذات الجانب الشعري فقط ليروي سيرته.

هذه السيرة تقع في جزأين؛ الأول يتكون من ثمانية عشر فصلا، مع مقدمة وخاتمة بقصائد مختارة، والثاني يتكون من ستة فصول عنون خمسة منها بعنوانات دواوينه، وجاء السادس جامعا لعدد من إجاباته عن أسئلة سئلها عن الشعر، وختم بقصائد مختارة.

إن المتتبع لعنوانات فصول "سيرة شعرية" يجد هذا التطور الزمني في جسد هذه السيرة؛ فالعنوان الأول "البداية" ويسرد تفاصيل بدايته مع الشعر منذ الطفولة، والثاني يتحدث عن "المؤثرات الأولى" لشعره، ثم تتولى فصول الكتاب معنونة بعنوانات الدواوين الشعرية التي صدرت تباعا، حتى نصل إلى الفصل العاشر الذي يتحدث عن "طبيعة الشعر"، وبعدها تجيء العنوانات في تسلسل يكاد أن يكوِّن جملة مفيدة كاملة؛ فالحادي عشر بعنوان "أنا"، والثاني عشر بعنوان ".. والشعر"، والثالث عشر بعنوان ".. والحياة"، والخامس عشر بعنوان ".. والتجربة"، هكذا حتى تتكون الجملة المفيدة: أنا والشعر والحياة والتجربة والحب والنقد وهموم الزمن الرديء.

إن القارئ لسيرة غازي الشعرية يجد هذا التطور الزماني للسرد النثري الذي تتطابق فيه الذات والشخصية الرئيسة لرسم أحداث واقعية حدثت لغازي القصيبي الشاعر، وتنتهي عند زمن إخراج هذه السيرة بنهاية تتجلى فيها قصائد الشعر الذي لا ينتهي غازي منه.

فلكل ديوان قصة، ولكل سؤال حكاية، والنهاية تتجلى في براعة المختار من الشعر، وبناء على هذا كله نجزم بسيرية هذا العمل كما أقر بذلك صاحبه من البداية، وشهد على ذلك النقاد.

-**حياة في الإدارة:** لقد أوقفتنا العقود القرائية عند نوعين من أنواع كتابة الذات (السيرة الذاتية، المذكرات)، وكذلك فعل التلقي النقدي، لكن دراستنا لمقومات العمل سترجح كفة واحد فقط، فإن قلنا بسيرية العمل فنحن أمام التزام بالزمن الممتد، والتزام بتقديم الذات على نقل الوقائع، وإن قلنا بالمذكرات فنحن غير ملتزمين بالزمن بقدر التزامنا بالوقائع، وهكذا.

إن التفكير الأولي لهذه السيرة يقول: إن هذا العمل ينتمي إلى جنس المذكرات؛ لأنه سيتحدث عن وقائع ومشاهداته أثناء عمله في الإدارة، وعمله في الإدارة بدأ بعد تخرجه وتعيينه في الجامعة، بعد أول منصب شغله بعد رجوعه إلى أرض الوطن، فهل نخرج بذلك تلك الحياة من الجنس السيرذاتي؟ وندخلها في باب المذكرات؟ وهل يشترط في السيرة الذاتية أن تكون سردا للحياة من الولادة إلى الممات؟ إن المعول في ذلك على المقومات التي يتمتع بها العمل ليجعلها عملا ينتمي إلى هذا أو إلى ذاك.

يقول غازي القصيبي بعد المقدمة مباشرة: "الطفل في تصوري لا يبدأ تعامله الحقيقي مع الإدارة إلا بعد أن يذهب إلى المدرسة. في المنزل هناك قرارات

عديدة، ولكنها تبقى قرارات عائلية يصعب على الطفل أن يتبين طبيعتها الإدارية"(١).

ثم قال: "بدأ لقائي بالإدارة في الطابور. كان الطلبة يصطفون في طوابير كل صباح، ويتولى التفتيش على نظافة الأظافر مدرس مختلف كل يوم. من هؤلاء المدرسين من كان تفتيشه شكليا سريعا، ومنهم من كان بحثه دقيقا مستقصيا... كان المدرس يصدق من يزعم أنه استحم ولو كانت كل الشواهد تكذب هذا الزعم... كل ما فعله هو إغراؤنا بالكذب. كانت نواياه حسنة وكانت تلك هي المرة الأولى، وليست الأخيرة، التي ألتقي فيها بنوايا حسنة تقود إلى أوخم العواقب"(٢).

بعدها بدأ غازي بسرد حكايات من طفولته رسخت في أعماله الحس الإداري الذي التصق بسنوات حياته كلها، ثم يتتابع سرد الحياة المرتبط بالإدارة في سيرته كلها، متتبعا تطوره في المناصب الإدارية حتى زمن تدوين الكتاب.

ثم يختم القصيبي كتابه بقوله: "لقد حاولت في كل موقع شغلته أن أخدم مواطني بكل طاقتي. خدمت أبناء هذا الجيل، أما أبناء الأجيال القادمة، الذين لن يتاح لي شرف رؤيتهم أو خدمتهم، فلا أستطيع أن أقدم لهم شيئا سوى قصة هذه الخدمة، مصحوبة بكثير من المحبة وكثير من الدعاء"(٣).

لقد توافر في هذا الكتاب عناصر السرد السيرذاتي كلها، فهي حكي استعادي نثري ممتد زمانيا، متصل فكريا، تتطابق فيه هوية السارد مع الشخصية الرئيسة المسيرة للأحدث، يتخللها بعض الوقائع المرتبطة بالذات، وفكرها وتحليلها واستنباط الفائدة منها، وحضور تلك الوقائع لا يدفعها إلى خانة المذكرات، بل يبقى بها في خانة السرد السيرذاتي الذي يعنى بالذات التي تحملت أعباء الإدارة

(١) القصيبي، *حياة في الإدارة*، ١٣.
(٢) السابق، ٣٠٨.
(٣) القصيبي، حياة في الإدارة، ١٨٠.

من الطفولة حتى زمن التدوين، وكأن الإدارة قدرها الذي ولدت به وسارت معه طوال حياتها، وعليه، فإني أجزم بانتماء هذا العمل إلى السيرة الذاتية بدون أدنى شك.

-**الوزير المرافق:** الحقيقة أني وقعت في حيرة من تصنيف هذا الكتاب، ووجدت شكا تجاهه، لم أجده وأنا أصنف بقية مؤلفات غازي القصيبي الذاتية؛ لأن تناوله للشخصيات جاء بطرائق مختلفة؛ إذ ولج إلى بعضها من باب الوصف، وبعضها من باب المقارنة، ودخل إلى بعضها من باب الحوار، فوقعت في فخ أدب رسم الذات مع الاسترسال في الوصف، وتعلقت بحبال المذكرات عندما توغل في سرد الوقائع، وكدت أظنه ضالعا في نوع الذكريات لولا أن غازي كان ذاتيا في سرده، ولا يغفل عن وصف انفعالاته وانطباعاته.

وبعد ذلك وقفت عند خيار الرحلات؛ لأنه كان يتحدث عن بعض الشخصيات متعلقا برحلاته إلى بلادها، ولكني تراجعت عن ذلك فورا؛ لأن هذا الأدب لن يكون ضالعا في أدب الرحلات بأي حال من الأحوال؛ فالعمدة فيه ليست لبنية السفر، بل بالذات والآخر وما يحصل بينهما من انطباعات ومواقف.

وبعد وقت من القراءة جزمت بانتماء الكتاب إلى المذكرات؛ لتطابقه مع شروطها وأسسها؛ فهي سرد ووصف وذكريات وانطباعات لا يمتد فيها الزمن؛ لأن العمدة ليست على الذات بالشكل الذي يكوّن السيرة الذاتية، وفي الوقت نفسه فإن الذات فيه لا تنسلخ عنه ليدخل في باب الذكريات.

إن عمدته على الذات وما يدور حولها من وقائع، وهكذا يكون أدب المذكرات، وليسمح لي جميع الذين جعلوا هذا العمل سيرة ذاتية بأن أخالفهم الرأي بناء على ما جئت به من دلائل، وما درست من مقومات.

-**العودة سائحا إلى كاليفورنيا:** يقول القصيبي: "خمس قرن، يزيد قليلا أو ينقص قليلا، قد انصرم منذ غادر صاحبنا كاليفورنيا يتأبط شهادة "الماجستير"،

كما تأبط أخونا القديم شرا، ويفكر في الوظيفة التي سيشغلها... عاد إلى كاليفورنيا منذ ذلك الحين مرات تقل عن أصابع اليد الواحدة في مهمات رسمية لا تستغرق الواحدة منها سوى يوم أو يومين. أما الآن فهو يعود متأبطا جوازات السفر ووثائق العفش ويقود حملة قوامها الزوجة والابنة والأولاد الثلاثة و –صدق أو لا تصدق– الحماة"(١).

هذه البداية التي تحاكي في أسلوبها أسلوب قامة أدبية اعتمدت ضمير الغائب في حديثها عن ذاتها، تمنحنا فرصة اختبار العمل من الناحية الأجناسية السيرذاتية؛ فقد كتب طه حسين سيرته الأيام بالأسلوب ذاته، لكن هذا الأسلوب المراوغ لا يستمر بنا نحو فخاخ السيرة، والأديب غازي القصيبي لم يعد بنا إلى ذاته طفلا، ولم يمتد به الزمن خارج رحلته السياحة قصيرة المدة أبدا، وبذا يتهاوى التفكير في السيرة الذاتية من البداية ونبقى في إطار أدب الرحلات، وبهذا فإني أتفق مع نقاد أدب الرحلات في ترحيبهم بهذا العمل في إطار دراساتهم.

إن مقومات الأدب الرحلي كلها موجودة في هذا الكتاب، ولكن ختام غازي القصيبي يعيدنا من المكان حيث الرحلة إلى الذات في النهاية، والسيرة ونوعها الخاص؛ لأنه يقول: "عندما كنا نغادر لوس أنجلس طفرت إلى ذهني حكاية الزائر الأجنبي الذي عاد إلى باريس بعد غياب طويل، وقرر أنها كانت أجمل بكثير في الماضي.

سألوه: هل تقصد عندما كانت باريس باريس؟!

قال: كلا. أقصد عندما كنت أنا أنا!

كان هذا لسان حالي والطائرة تبتعد عن الأماكن القديمة"(٢).

---

(١) القصيبي، *العودة سائحا إلى كاليفورنيا*، ٩.

(٢) السابق: ٦٢.

وتعليقي على ذلك أن غازي القصيبي لا يمكن أن يكون إلا أديبا، بتأملاته وحضور ذاته، حتى عندما يكتب عن المكان؛ لأنه يضيف إلى أعماله كلها من روحه ليأخذ أدبه طابعه الخاص الذي يتسم بالختم القصيبي الفريد، حتى وهو يكتب أدب الرحلات.

-**الأسطورة:** يتبادر إلى ذهن القارئ أن هذا الكتاب يندرج ضمن أدب السيرة الغيرية أو أدب رسم الذات وفقا للاطلاع الأولي للمدونة، لكن هذا الكتاب لا يمكن أن ينتمي إلا إلى شكل المذكرات؛ لأنه تسجيل لبعض الوقائع والانطباعات والتأملات التي حملها غازي القصيبي في ذاكرته تجاه الأميرة ديانا، فحدث وفاتها استدعى من الذاكرة ذكريات ومواقف، وجره ذلك إلى تحليل بعض الوقائع والأحداث، فالعمل مزيج من ذكريات ومشاهدات، وتحليل، ورؤى فلسفية.

لقد بدأت الحكاية باستحضار حدث قديم، عندما كان غازي القصيبي يدرس الماجستير في الولايات المتحدة، وجاءه خبر وفاة الرئيس كيندي، ومن هنا بدأ في سرد الخبر القديم المشابه للخبر الحديث (وفاة الرئيس كيندي/ وفاة الأميرة ديانا) من وجه نظر مختلفة وتأمل مختلف.

"قضيت أسبوعا كاملا. أشاهد كل شيء. ألف مرة. الرئيس المبتسم. الزوجة الحسناء. الموكب. الفوضى. الرداء الوردي المبقع بالدماء وبقطع متناثرة من المخ. المتهم، اوزولد، يقتل على الملأ. أمام كاميرات التلفزيون. ويقول القاتل إنه فعل ما فعل إشفاقا على جاكلين. حتى لا تتحمل مشقة العودة إلى دالس. ومشقة المحاكمة. تبرير غريب لحادثة غريبة... أسطورة تولد أمام عيني وأنا في الثالثة والعشرين. بدوي في لوس أنجلس. قليل الخبرة بالأساطير. ومرت سنين، أو سنون طويلة. ومرت مياه كثيرة. تحت كل الجسور. وأصبح الفتى جدا. يشهد مولد أسطورة جديدة تنافس القديمة"(١).

(١) القصيبي، الأسطورة، ١٣.

لا أظن أن الأسطورة القديمة كانت حادثة الوفاة نفسها بقدر ما كانت المرأة التي عاصرت تلك الحادثة "الأرملة الحسناء" التي جاء على ذكرها بأكثر من صيغة، وفي مواضع متفرقة. إنه يمهد بصورتها لصورة امرأة حسناء جديدة ستكون أسطورة أخرى هي "الليدي ديانا"، هل ينبغي أن تكون الأسطورة المرأة؟ ولماذا كان غازي يحاول أن يغمز في ردود أفعال الأرملة الحسناء على حد قوله؟ وما الجامع بين المرأتين؟ ألوجه الحسن؟ أو بناء الأساطير؟ أو ادعاء البراءة؟

إن الرابط بين غازي القصيبي وبين المرأتين يتجلى في قوله: "أسطورة تولد أمام عيني. وأنا في الثالثة والعشرين"(١)، وقوله: "وأصبح الفتى جدا. يشهد مولد أسطورة جديدة تنافس القديمة. كنت في إجازتي السنوية. في ألمانيا. في بركة السباحة مع حفيدي فهد...عندما جاءت زوجتي. وقالت: "لك طول البقاء!" قلت: "من الذي مات؟". "ديانا"... فجأة في ريعان الشباب. والجمال. والشهرة... يرن التلفون. ويتحدث أحد الأصدقاء. يعزيني في جارتي. التي تسكن الشارع نفسه. ويضيف "كنت تعرفها. تعرفها جيدا. أليس كذلك؟" لا. رأيتها مرتين. أو ثلاث مرات. أو أربع مرات. إذا كنت تريد الدقة. وتأتي الذكريات..."(٢).

ثم يبدأ غازي القصيبي بسرد ذكرياته مع تلك الشخصية، ليأتي إلى الواجهة سؤال آخر: هل تنتمي هذه المدونة إلى خانة الذكريات؟

إننا لا نستطيع أن نضع هذه المدونة في خانة الذكريات؛ لأن ذات غازي القصيبي، ومشاعره، وتأملاته، وتحليلاته الفاحصة طاغية على المدونة، وعناية الذكريات ليست منصرفة "إلى الأفكار والحالات الشعورية، لكنها منصرفة إلى المجتمع والشخصيات والمشاهدات والأماكن، وصاحبها يبدي كثيرا من

(١) القصيبي، الأسطورة: ١٣.

(٢) السابق، ١٣–٢١.

الملاحظات، التي كثيرا ما يتاح للقارئ الوقوف عليها ومشاركة كاتبها دون أن تتهيأ له معرفة المواطن المخبوءة في وجدان الكاتب"[١].

ولا يمكننا أن نضع هذه المدونة في خانة أدب رسم الذات؛ لأن عناية غازي بالذات المروي عنها لم تكن وافية، لا من حيث الوصف، ولا التتبع. إن غازي يبحث عن ذاته في هذه الذات الجديدة القديمة، ويستذكر مواقفه معها، ليحللها، ويقدم بتحليلها درسا إنسانيا في الاستثناء والمصير، ومن ذلك قوله: "العالم بأسره يعرف قصة العاشقين. والعالم بأسره رأى صورهما...لم إذن هذه المطاردة العبثية. في منتصف الليل؟ تصرف العاشقين لا يفسر. لا بد للأسطورة من نهاية دامية. من الذي عرف إنسانا مات ميتة طبيعية وتحول إلى أسطورة؟ والجموع غاضبة على المصورين. وعلى الصحافة. ولا بد من كبش فداء. أو أكثر. السائق المخمور. المصورون المنطلقون على الدراجات النارية. ملائكة الجحيم. الصحف في بريطانيا تجلد نفسها ندما. وتذرف دموعا حقيقية. ودموع تماسيح. ورؤساء التحرير في حالة استنفار"[٢].

إنها نظرة تحليلية للموقف، وتأمل في حياة الأميرة كيف تحولت إلى أسطورة، وتأمل في ذات القصيبي، والأفعال التي حدثت منه حوله، وردود فعل الناس تجاه الأميرة ديانا، لا بوصفها أميرة ذات جمال استثنائي، بل بوصفها أسطورة للبقاء، ومن التأمل في حياة تلك الذات صنع غازي القصيبي فلسفة في صناعة الأسطورة بعامة، وهذا يؤكد بعد العمل عن نوع الذكريات.

ثم إننا لا يمكن أن نقول عن هذا العمل سيرة غيرية؛ لأنه لا يعنى بسرد حياة تلك الشخصية كاملة، بل يتأمل تلك المواقف الأربعة التي جمعته بالأسطورة.

---

(١) يحيى عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث (بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت))، ١٦.

(٢) القصيبي، *الأسطورة*، ٧٦.

والحقيقة أن غازي بعد أن بدأ الكتاب منطلقا من ذاته عاد في نهايته إلى ذاته حيث قال:

"وبعد. يا فهد!

ستتمكن ذات يوم، بإذن الله، من قراءة هذا الحديث. وقد يعجبك. وقد لا يعجبك. ولكني أريد أن تعدني. سواء كنت أنا هنا في ذلك الحين أو لم أكن. عدني أن تذهب إلى تلك المرأة التي نحبها كثيرا أنت وأنا. وتقول لها: "جدتي! لماذا لم توافقي على دعوة ديانا إلى الشاي؟"... لن نعرف، أبدا، لماذا لم تدع جدتك ديانا لشرب الشاي في منزلنا. ولن نعرف، أبدا، لماذا تحولت ديانا إلى أسطورة"(١).

إن مجرد تصور وصول الكتاب إلى الحفيد بعد موت المؤلف، وربطه بموت ديانا يحول الكتاب من الغيرية إلى الذاتية، ويجعلنا نتصور أن غازي القصيبي كان يبحث عن ذاته بعد الموت، بحثه عن ذات الأسطورة ديانا بعد الموت، وكأنه لا يعلم أنه بات أسطورة بأفعاله الاستثنائية، وبذاته المختلفة.

لقد بدأ غازي يسرد بعد ذلك ردة فعله تجاه خبر الوفاة، وكيف وصل إليه؟ وكيف ربط بين الحدث الكبير والصغير ليصنع ذاتا تصوغ الوقائع كما ترى، وهذا يعني أن هذا العمل سيكون أقرب ما يكون إلى المذكرات؛ لأن كاتبها شخص كان له حظ مراقبة الأحداث وملاحظتها عن قرب(٢)، وصرف "عناية عظيمة إلى تصوير التاريخ النفسي لحياته"(٣)، وبعد ذلك كله فإني أجزم بانتماء هذا الأدب إلى جنس المذكرات.

---

(١) القصيبي، الأسطورة، ٩٦.

(٢) انظر: الحيدري، *السيرة الذاتية*، ٧٤.

(٣) عبد الدايم، *الترجمة الذاتية*، ٧٦.

إن دراسة مقومات أنواع كتابة الذات ليس عسيرا على الإطلاق، ولا يمكن أن نعده تعنتا تصنيفيا؛ لأن الإقرار بتلك الأنواع تنظيريا أخذ مأخذ التسليم المطلق، وجل النقاد العرب والغرب يؤكدون الفواصل بينها، مع عدم تطبيقها – في الغالب– ربما تساهلا، أو تثاقلا، أو غير ذلك.

**

الخاتمة

وبعد، فقد اجتهدت في دراستي هذه لصناعة أنموذج تطبيقي، يأخذ به دارس أدب كتابة الذات؛ للفصل بين أنواعه المعترف بها تنظيرا، المغيبة تطبيقا، وخلصت منها بعدة نتائج، أرتبها فيما يأتي:

١- ما يزال الخلط بين أنواع كتابة الذات قائما إلى يومنا هذا.

٢- يكثر الحديث عن الخلط بين أنواع كتابة الذات من حيث التنظير، ولكن المأزق يكون عند التطبيق.

٣- تدخل سيرة شعرية وحياة في الإدارة في باب السيرة الذاتية، بينما يقع الوزير المرافق والأسطورة في باب المذكرات، ويبقى كتاب العودة سائحا إلى كاليفورنيا في خانة أدب الرحلات.

٤- يعتني النقاد كثيرا بالمدونات الأكثر شهرة وتداولا بين الناس، وبعضها يغيب عن النقد والدرس، وربما يرجع ذلك إلى ضبابية العقد القرائي عند المتلقي.

٥- أظن أن غازي القصيبي في مدوناته النثرية كلها كان يحاول عدم الالتزام بالعقد القرائي أمام المتلقي، من باب المراوغة التي عرف بها أدبه، أو من باب الحرية الأدبية التي أظنه كان ملتزما بها مع نفسه.

التوصيات:

١- حظي أدب غازي القصيبي بكثير من الدرس والعناية والتحليل، حتى إننا نكاد نجزم بأن السابق لم يدع مجالا للاحق حول أدب غازي القصيبي، لكن السخرية في أدب غازي القصيبي السيرذاتي لم تنل حظها من الدرس والتحليل بعد.

٢- إن فروع أدب كتابة الذات بعامة، والمذكرات ورسم الذات بخاصة، لم تلق حظها من الدراسة وحسن التصنيف بعد، في المملكة العربية السعودية، وفي كثير من الأوطان العربية، وعليه، فإني أوصي بالالتفات إلى هذين النوعين تنظيرا وتطبيقا بوعي نوعي بالغ، وشديد الحذر.

ثبت المصادر والمراجع

١- ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط١، ١٩٩٠م.

٢- آل سليمان، صورة أمريكا في كتابات الرحالة السعوديين من خلال النقد الثقافي من عام ١٤٠٧هـ إلى عام ١٤٣٧هـ، رسالة ماجستير-جامعة الملك خالد، ٢٠٢١م.

٣- آل مريع، أحمد، السيرة الذاتية: مقاربة الحد والمفهوم، تونس: دار صامد ط٣، ٢٠١٠م.

٤- الباردي، محمد، عندما تتكلم الذات: السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١. ٢٠٠٥م.

٥- البكر، فهد، "السيرة الذاتية وإشكالية التجنيس الأدبي: قراءة ثانية لبعض الأعمال النقدية السعودية"، "السجل العلمي لملتقى النقد الأدبي، الدورة السابعة، السيرة الذاتية في الخطاب النقدي السعودي"، الرياض: النادي الأدبي، ط١. ٢٠١٩م.

٦- بنخوذ، نور الدين، السرد والتاريخ والتخييل، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها، ط١. ٢٠١٦م.

٧- بن شيخة، مريم، آليات قراءة النص الرحلي: التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل لشعيب حليف أنموذجا، رسالة ماجستير- جامعة العربي بن مهيدي، ٢٠١٥-٢٠١٦م.

٨- الثقافية، "الوزير المرافق"، صحيفة الجزيرة، العدد ١٤٠٧٨، الجمعة ١١، جمادى الأول، ١٤٣٢):
https://www.al-jazirah.com/٢٠١١/٢٠١١٠٤١٥/cu٥.htm

٩- جبار، سوسن، "غازي عبد الرحمن القصيبي: دراسة في حياته ومؤلفاته ١٩٤٠-٢٠١٠م"، Route Educational & Social Science Journal ، Volume ٦(٢);January ٢٠١٩

١٠– الجنوبي، أسماء، "أدب رسم الذات في المملكة العربية السعودية، هؤلاء عرفت لعبد الفتاح أبو مدين أنموذجا" مجلة الدارة–دارة الملك عبد العزيز، ٤٤، عدد: ٤، (أكتوبر/ ٢٠١٨م).

١١– الجنوبي، مساعد، "تداخل الأجناس الأدبية في السيرة الذاتية "حياة في الإدارة" لغازي القصيبي أنموذجا"، الأدب الذاتي في المملكة العربية السعودية، تحرير: صالح الغامدي، الرياض: كرسي الأدب السعودي. جامعة الملك سعود، ٢٠١٨م.

١٢– الحكمي، عائشة، السيرة الذاتية عند أدباء المملكة العربية السعودية في مرحلة الطفرة (١٣٩٠–١٤١٨)، عمان: دار كنوز المعرفة، ط١، ٢٠١٥م.

١٣– الحيدري، عبد الله، السيرة الذاتية في الأدب السعودي، الرياض: دار طويق للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ.

١٤– الدوغان، محمد، السيرة الشعرية: الرؤية والأداء، الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ٢٠٠٣م.

١٥– السعد، سعد، مع غازي القصيبي "قصص وذكريات وأشعار ومراسلات" تكشف لأول مرة، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ٢٠٢٠م.

١٦– الشمري، جزاع، أجناسية السيرة الذاتية السعودية، الرياض: النادي الأدبي، ط١، ٢٠١٨م.

١٧– الضمادي، سالم، أدبية النص الرحلي السعودي، رسالة دكتوراه– جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٨هـ/ ١٤٣٩هـ.

١٨– الطريطر، جليلة، أدب البورتريه: النظرية والإبداع، صفاقس: دار محمد علي للنشر، ط١، ٢٠١١م.

١٩– عبد الدايم، يحيى، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

٢٠- عبيد، محمد صابر، السيرة الذاتية الشعرية: قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية، إربد: عالم الكتب الحديث: ط١. ٢٠٠٧م.
٢١- عجينة، محمد، حفريات في الأدب والأساطير، تونس- دار المعرفة للنشر، ط١، ٢٠٠٦م.
٢٢- العكبري، شرح، ديوان أبي الطيب المتنبي، بيروت: دار المعرفة، (د.ت).
٢٣- "غازي القصيبي المثير للجدل دائما"، مجلة فكر ع٩، ٢٠١٥ م.
٢٤- الغامدي، صالح، كتابة الذات: دراسات في السيرة الذاتية، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط١. ٢٠١٣م.
٢٥- الغامدي، علياء، المقالة في أدب غازي القصيبي حتى عام ١٤٢٦، رسالة ماجستير-جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، ٢٠٠٧م.
٢٦- القاضي، محمد وآخرون، معجم السرديات، تونس: دار محمد علي للنشر، ٢٠١٠م.
٢٧- القاضي، محمد، تحليل النص السردي بين النظرية والتطبيق، تونس: مسكيلياني للنشر، ٢٠٠٣م.
٢٨- القصيبي، غازي، الأسطورة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٧، ٢٠٢١م.
٢٩- القصيبي، غازي، الوزير المرافق، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٥، ٢٠٢٠م.
٣٠- القصيبي، غازي، حياة في الإدارة، غازي القصيبي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١٣، ٢٠٠٦م.
٣١- القصيبي، غازي، سيرة شعرية، جدة: مطبوعات تهامة، ط٣. ١٤٢٤هـ.
٣٢- لوجون، فيليب، السيرة الذاتية: الميثاق والتاريخ الأدبي، عمر حلي، مترجم، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٤م.

٣٣– ماي، جورج، السيرة الذاتية، ترجمة: محمد القاضي، عبد الله صولة، أبها: النادي الأدبي، ط١، ٢٠١١م.

٣٤– المحيش، نوف، عتبات النص في السيرة الذاتية في الأدب السعودي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٧/ ١٤٣٨هـ.

٣٥– المهوس، منصور، "التكوين الجمالي للسيرة الذاتية في الأدب السعودي الحديث، السيرة الذاتية في الأدب السعودي، تحرير: صالح الغامدي، عبد الله الحيدري (حياة في الإدارة) لغازي القصيبي أنموذجا" (الرياض: كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود، ٢٠١٣م).

٣٦– مؤلفون، الموسوعة العربية العالمية، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ط٢. ١٩٩٩م.

٣٧– الهدوي، محمد منصور، "حول أدب الرحلات العربية الحديثة"، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، سوريا. ٢٠٢١م. العدد: ٦٩١.

٣٨– هروبي، أحمد الذات في السيرة الذاتية السعودية من عام ١٣٧٤هـ إلى عام ١٤٣٩هـ، رسالة دكتوراه–جامعة الملك خالد، ٢٠١٢م.

* * *